

الصحة الإسلامية والتمهيد للوحدة الإسلامية

الصحة الإسلامية والتمهيد للوحدة الإسلامية

الشيخ جواد الخالصي

لاشك ان الحديث عن الصحة الإسلامية المعاصرة، يُشكل العمود الفقري لبحث ظروف الحركة المعاصرة لامتنا في نصف القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، واذا كانت هذه الحركة قد عبر عنها بلفظ (الصحة). فان ذلك يشير الى ان اهم ما يشكل حركة الامة في نهضتها المعاصرة، هو تمسكها باحكام رسالتها والمثل العليا التي جاء بها دين الحق، لتكون النهضة انسانية شاملة، روحية ومادية خاضعة لاحكامها، محافظة على قيمة الانسان الكاملة، ومؤكدة على المساواة العامة بين كل ابناء الانسانية، فلا جباة ولا متخمين ولا شمال ولا جنوب، ولا حدود ولا فواصل، ولا شركات اقتصادية متعددة الجنسية، تحتكر ثروات العالم لصالح طبقات محدودة معروفة التوجهات والارتباطات، فهذه الصحة تشكل حركة الامة المعاصرة لبناء مشروعها الحضاري، استناداً الى رسالتها الانسانية الخالدة، ولكن هذه الصحة واستناداً الى رسالتها لا يمكن ان ترفع شعاراً مشتتاً او مفزقاً لها، فهي حركة موحدة واساسها الوحدة الإسلامية واهدافها واضحة ومركزة في الاهداف الموحدة للانسانية - ويمكن ان نركز الدوافع والاهداف التي تتبناها الصحة وعلاقة ذلك بموضوع الوحدة الإسلامية :-

1- الصحة الإسلامية رسالة موحدة : لا يمكن لصحوة الامة الموحدة وحين ترفع شعار الإسلام كما هو في اسمها المعلن، الا ان تؤكد بذلك على البديهة التي لا تحتاج الى تأكيد نظري بقدر احتياجها الى تأكيد عملي في الممارسة الدائمة، والثابتة وهذه البديهة القطعية ان رسالة الصحوة وفكرها و ثقافتها هي رسالة واحدة، دين ندين ﷻ به، ووحى نزل من عند رب العالمين، فأنها لا يمكن ان تتلکأ في الانتماء او تتجزأ في النظر والعطاء، فلا بد ان تشمل كل مرافق الحركة الانسانية في ظل الصحوة الإسلامية المعاصرة، ويجب ان تتجاوز الحدود السياسية المصطنعة بين دول المسلمين واقاليم الامة، كما تتجاوز الحواجز الطبيعية الجغرافية او الاجتماعية، او القومية، وحتى المذهبية، لا بالغاء المذاهب والآراء او الاجتهادات وانما اعتبارها فروعاً علمية ضمن دين واحد هو الإسلام، وان الرسول صلى ﷺ عليه وآله قد جاء بالنور والهدى لينقذ البشرية من ظلمات الجهالة الى نور العلم والايمان، فهذه الرسالة الموحدة للصحوة الإسلامية القائمة يجعلها صحوة مباركة شاملة، وهي حركة موحدة تتناسب مع الرسالة الموحدة التي تستند اليها وتتحرك على هديها.

2- الصحة الإسلامية اهداف موحدة : كما ان رسالة الصحوة هي رسالة الإسلام الموحدة البعيدة عن الانقسامات الطائفية والعرقية والانشداد الى المصالح الدنيوية الضيقة والمطالب الهابطة والحاجات الآنية، كذلك فان هنالك اهدافاً ثابتة تتناسب مع الرسالة التي تحرك الصحوة وتوجهها، وهي تتعلق بانقاذ الانسان والانسانية في مسيرة الحياة الاولى، وتعمل على نجاتها في اليوم الآخر، حيث لقاء ﷻ والحساب والمصير الابدي للنسان. فالاهداف الموحدة تتجسد في تحكيم شرع ﷻ، من اجل الوصول الى مرحلة العدالة الكاملة، التي تبحث عنها اجيال الانسانية وتتوق اليها نفوس البشر، ويتجلى هذا في صورته الكاملة، باقامة دولة الإسلام الواحدة في مشارق الارض ومغاربها، وهذا ما تؤكده مسارات التاريخ الايماني، وما الحديث الثابت عن لقاء المسيح مع المهدي الا اشارة قاطعة على هذه المحصلة وهي الاصلاح الشامل بتحكيم شريعة ﷻ، ولكن الطريق لتحقيق ذلك لن يكون الا بواسطة الحركة الايمانية الجماهيرية، بصحوتها المعاصرة، وان كل ارض مسلمة تتحرر في اجواء الصحوة تمثل خطوة جديدة تمهد لذلك العهد الانساني الجديد وسيراً نحو تحقيق ذلك الهدف الكبير.

3- الصحة الإسلامية امة واحدة : من اهم ما تتميز به الصحوة المعاصرة انها تنطلق من خلال الاحساس بالامة الواحدة، فليس هنالك تقسيم عرقي، او اقليمي قطري، او طائفي مذهبي، يمكن ان يغلب هذا الاحساس المتصاعد بالانتماء الى امة الرسالة، ورسالة الامة، وان هذا الاحساس العقائدي والواقعي، لا ينفي وجود اقاليم و ولايات و طوائف ومذاهب، بل هو يعترف بها وينظر الى العقد التاريخية التي تولدت منها، والتي حاول البعض ترويجها هذا الزمان ولغايات غير شريفة ولصالح مخططات الاعداء واهدافهم اللئيمة على انها تحديات يجب حلها على اساس هذه الصحوة، فصورة الامة الواحدة في صحوتها الجديدة تستوعب كل

هذه الاختلافات وتعالج كل هذه التراكمت والتناقضات، وانها عودة الى العقيدة الانسانية الخالدة، ونهضة الى الامام لاستيعاب الانسان وآماله ورغباته، ضمن منظور مشترك يتعلق بمصير الانسان وكرامته في الدنيا ومآله الاخير بعد الرحيل عنها. فالامة الواحدة هي المنطلق الجامع للصحة الجديدة العقائدية والثقافية والحضارية بتميزها بصورة الاجتماع الانساني على رفض الخضوع للظلم والعدوان، ولعبادة المخلوقين دون الاله الواحد الاحد الذي اوجد الكون وجعل الانسان اكرم مخلوقاته وميزه بالعقل والوعي ولكي يعرف خالقه وموجده واخاه الانسان والوجود الذي خلق لهما.

4- الصحة الإسلامية آفاق انسانية : من منطلق الوعي بالرسالة الوحدة والامة الواحدة، تذهب الصحة الى آفاقها الانسانية، فالامة الواحدة، تهتم بالانتماء الانساني لها، فكل انسان اخ لنا في الدين، او نظير لنا في الخلق، فانسان الايمان في الصحة المعاصرة حريص على الانسان اينما كان، وحريص على هدايته وتوعيته وانفاذه من الجهالة والضلالة، ويعمل على اخراجه من ظلمات الكفر والعصيان، الى نور الهداية والايمان. وان رسالة الصحة الإسلامية تهتم بالامة وحركتها والتزامها برسالتها، ولكنها في الوقت نفسه، تتجه نحو المجتمع البشري كله لتبلغه رسالة الحق والايمان، لكي يتمكن من مساعدة اخينا الانسان على الخلاص من قيود الحياة المادية، وتيه المجتمعات البعيدة عن الاخلاق وروح الاسرة الواحدة، والمجتمع المتآخي والمتواصل، والذي يحس الانسان منه بدوء العلاقة والمودة مع اخيه الانسان ومع اسرته وجاره ومجتمعه والانسانية كلها، لكي يسير البشر نحو هدف واحد، هو العيش بسلام والعدالة في توزيع الثروات وعدم التفرقة بين الاغنياء والفقراء، وبين عالم متخم وآخر فقير ومجوع، انها الآفاق الموحدة التي تؤسس لها الصحة الإسلامية، وتنطلق منها وتستند اليها لبناء عالم جديد وهو عالم ممكن بناؤه، فيجب ان نعمل جميعاً من اجل تحقيقه.

لذلك فان من الضروري ان ينتبه ابناء الامة الإسلامية الى مخططات مواجهة الصحة واجهاضها، او احتوائها وحرفها عن مسارها، فمنذ انطلاق الثورة الإسلامية في ايران، تصاعدت الحرب ضد الصحة ورجالها وانجازها الكبير، وهي امتداد للحرب التي كانت قائمة بين امة الإسلام ورسالة الحق، وبين قوى الضلال والجاهلية والاستكبار في العالم، ولكن انهيار الدول الإسلامية بعيد الحرب العالمية الاولى جعل قوى الاعداء، في حالة من الارتخاء والانتشاء بسبب ما حسبه نصرًا كبيرًا تحقق لهم، وادى الى سيطرتهم على بلاد الإسلام وتمزيق وحدتهم، ثم ادى في مرحلة تالية الى تمزيق الدولة القومية وتحويلها الى دول قطرية، ويراد اليوم تحويلها الى اقاليم صغيرة زيادة في اضعاف الامة وانهاكها في مراعاتها الداخلية، ولما قامت الصحة من جديد بثبات رجال الامة المخلصين وعلى رأسهم علماء الصحة، ورغم ان الاعداء حاولوا محاصرة هؤلاء الرجال واغواؤهم بالعطايا الزائفة، او اخافتهم بالسجون والمنافي، الا ان مسيرتهم لم تنقطع فكانوا مراجع جهاد وعمل ونفي غربة وسجون ومقاومة، مع التصحية بالمقامات

العلمية الظاهرة التي يسعى اليها البعض، حيث وجدوها مقيدة لحركتهم، بعيدة لهم عن غاياتهم الكبرى في ايقاظ الامة وجمع كلمتها وصولاً الى رضوان الله تعالى.

في هذا الصراع لم يتصور اعداء الإسلام ان الصحة يمكن ان تقدم انجازات خطيرة ومهمة، سوى مواجهة الشيوعية واسقاطها، وهذا ما كانوا يرغبون في تحقيقه بصورة واخرى، على ان يبقى جهاد ونشاط العلماء المخلصين محصوراً في هذه القضية ولا يتعدى الى دورهم التاريخي الاول وهو مقاومة الاستعمار الغربي، ولا يسعى الى عملية الايقاظ الفكري والثقافي والعودة الى جذور دين الله العظيم، وما دروا ان محاربة الشيوعية هي حالة طارئة، لان الاصل هو مواجهة الاستعمار الغربي الاخطر والاقسى وعلى اساس العودة الى حقائق الدين و لما وجدوا ان البعض يدعي محاربة التسلط الاستكباري الغربي ولكن باعطاء بديل بعيد عن الدين، وهو النظرية الشيوعية، فان قادة الجهاد من علماء ومراجع الدين ارادوا ان يسقط البديل المزيف لكي تبقى الامة على دربها العقائدي الإسلامي في اثبات الذات ونصرة الامة وجمع الكلمة وقيام الحضارة الانسانية الحقيقية تحت راية الإسلام، لذلك فوجئ كل هؤلاء باستمرار مسيرة الصحة وتحقيق اكبر انجازاتها باسقاط النظام الشاهنشاهي الجاهلي الحاكم في ايران.

فبعد تحقيق هذا النصر الذي احوال اهم قاعدة للاستكبار العالمي في منطقتنا الى محور تحرري يؤيد القضايا الإسلامية ويتبناها، وكل هذا تم تحت راية الإسلام، حتى ان امين عام الحزب الشيوعي السوفياتي آنذاك (قبل تفكك الاتحاد)، اشار في تقريره الرسمي لحزبه الحاكم الى حقيقة عظيمة وهي ان الدين ليس افئونا للشعوب بل يمكن ان يكون محور استقطاب للجماهير من اجل الدفاع عن مصالحها وهذا ما وجدناه واضحاً في آخر الحركات الثورية ويقصد بها الثورة الإسلامية في ايران، وقد وضنا مراراً كما وضع اساتذتنا ومشايخنا بان الدين الذي هو افئون للشعوب، هو الدين المحرف والمشوه، وهو ليس الدين الالهي الذي جاء به الانبياء الذي هو رسالة تغيير وحركة ثورة وافكار انقلابية، ومنذ ذلك التغيير سقطت المعادلات المستوردة وظهرت حقيقة الايمان الجماهيري الثوري الذي بدأت امتنا تسير نحوه وتلمس خطاه، وبدأت القضايا المركزية للامة تتصاعد وبدأت حركات المقاومة في بلادنا تعود الى جذورها الاولى، التي تمتد في اعماق هذه الارض، انها مقاومة الشعوب المؤمنة المسلمة المجاهدة التي تعمل لتحرير بلادها وانهتاق شعوبها ضمن معادلة الخلاص من عبادة الانسان لاخته الانسان وللأوثان وللمادة، والعودة الى القيم الانسانية العليا من خلال الايمان الصحيح وعبادة الله الواحد الاحد.

ومن اجل هذا التغيير الكبير والنصر المميز الذي حفظته الصحة الإسلامية وبرسالة غير طائفية ولا عرقية ولا نظرية اقليمية بل برسالة الإسلام الجامعة للامة كلها وضد الحكم الشاهنشاهي الذي كان يتبنى العرقية والطائفية والاقليمية (فهو حكم يدعي الجمع بين الفارسية والشيوعية والايرانية)، وكان

يتخذ هذا وسيلة للسيطرة والاستعلاء في الارض وعلى كل ابناء منطقتنا ودولها ، وذلك تحت الحماية الامريكية والتحالف مع الغرب وادواته ، وبسبب هذا النقاء الإسلامي الثوري تصاعدت الحملة العالمية ضد الثورة والصحة بشكل عام ، وضعت مخططات واسعة وطرق محكمة لمجابهة هذا التغيير الهائل في ميزان القوى والذي جرى لمصلحة امتنا وحركتها الناهضة ، وقد عقدت ندوات متكاثرة لدراسة هذه الحالة ، في مراكز دراسات معروف وجامعات مشهورة معادية للامة ورسالتها ، وخاصة الندوة الرئيسية التي عقدت في جامعة تل ابيب ، حيث جرى التركيز على مواجهة الصحة بمخطط تفتيتي عرقي - طائفي قطري يمكن ان يتطور الى صراع داخلي فتوي وحزبي يؤدي الى تشرذم الامة والهائها من الداخل بصراعاتها المتعددة الجوانب ، فكانت حرب الخليج الاولى وانتقلت الى الثانية في مشهد مأساوي تدميري فطيع وكان مشروع الفتنة الطائفية القومية ، وقد ادى هذا الى محاصرة الثورة والصحة العالمية واشغالها بجراحاتها بعد ان استدرج البعض الى مناهات الطائفية والعرقية ، وقد ظن المخططون ان الشعوب قد ماتت خصوصاً بعد اتفاقيات كامب ديفد واستمرار ما يسمى بمسيرة السلام والتسوية ، ولكن الشعوب الإسلامية طلت تواصل جهادها وتسجل انتصاراتها في ظل رسالة الإسلام التي هي رسالة الصحة العارمة لهذه الامة . فكان ظهور المقاومة في لبنان وفلسطين بخطها الإسلامي الناصع وهزيمة الاحتلال وفشل مشروع التسوية ، وانسداد الابواب امام دهاقنة السياسة العالمية لفرض الذلة والخنوع تحت عنوان السلام ، وكانت الانتصارات في لبنان وفلسطين مما دفع الاستكبار الأمريكي الى ايجاد وسائل اخرى للتغطية على هزائمه المتعاقبة ، فانقلب على النظام في العراق بعد ازمة الكويت وظل يحاصر الشعب العراقي من اجل ان يرفع راية الاستسلام ، ولكن الشعب العراقي اكد مرة اخرى التزامه برسالته و الانسحاق الطبيعي مع الصحة المعاصرة لهذه الامة ، خصوصاً وان العراق كان السباق الى تسجيل اولى بوادر الثورة والمقاومة ضد الاحتلال البريطاني اواسط العقد الثاني من القرن العشرين ، ومن العراق بدأت بوادر البطولة والمواجهة مع المخطط البريطاني والاستعماري ، وبدأت الحركة الفكرية والسياسية لهذه المواجهة التي انتقلت من العراق الى ايران وبلاد الشام وباقي مناطق العالم الإسلامي ، لذلك كانت مقاومة الشعب للأفكار الوافدة في الاربعينات والخمسينات والى الستينات والسبعينات ، وطن المخططون ان الشعب العراقي قد خضع لمخطط الاذلال والتجويع واصبح لا يقدر على اي فعل في مواجهة الاحتلال لو اتى ، هنا قررت عصابت المحافظين الجدد ان تقوم بعمل عسكري مباشر لاحتلال العراق ، والانطلاق منه لاحتلال باقي بلدان المنطقة من اجل السيطرة على العالم اقتصادياً ونفسياً ، ولم يخطر ببالهم ان انهيار النظام الاستبدادي الذي منعه بانفسهم سيرفع كابوس الظلم مما سيتيح لهم فرصة الانطلاق على طريقة الجهاد والايمان ، فكان الاحتلال ، لتتبعه المقاومة بشكل سريع ولتطيح به و باهدافه مما ادى الى سقوط الادارة السابقة ، و مجيء الادارة الحالية تحت عنوان الانسحاب من العراق وادانة الحرب ، وكان الانسحاب الهزيمة الكبرى بعد انهيار ثلث الجيش الأمريكي على يد المجاهدين من ابناء العراق ، بين قتيل وجريح ومنهار و منتحر ، مع سقوط مئات الالوف من الصحايا من شعبنا المجاهد والصابر .

وكما اشرنا حول الوضع العراقي، كانت الفكرة الاستكبارية تتحدث عن استسلام الشعوب، ولكنهم فوجئوا بالنهضة العارمة لها لتأييد المقاومة والجهاد، وكانت الحركة مستمرة خلال كل المراحل التاريخية ولم تتوقف في لحظة ما، ولكن انطلق بشكل كبير في تونس ولتعبها مصر فسقط اكبر نظامين عميلين للعالم الغربي حيث كانا يعتبران حراس المشروع الامريكي الصهيوني وبوابات فساد كبير لعمل المخططين الساعين للسيطرة على المنطقة ولم تتمكن القوى الاستكبارية من متابعة الحركة الجماهيرية المسلحة بسلح الصحو، فحاولت استيعابها واحتوائها لمنعها من الوصول الى غاياتها، ثم حاولت ان تتدخل بها في اماكن اخرى فقامت بافسادها وتقييدها بقيود الطائفية او العشائرية او الفئوية، من اجل ان لا تبقى حرة من المنطلق ومن الاهداف نحو تحقيق اهداف الامة الإسلامية.

لذلك يجب على كل قوى الامة ان تنتبه الى هذه المداخلات الخطيرة - ومحاولة توريث الإسلاميين بمشاريع فاشلة او مشبوهة حيث يتجلى ذلك في الضغط الذي تمارسه السياسة الغربية لترك الإسلاميون قناعاتهم الايمانية حول تشكيل الدولة الإسلامية، لصالح ما يسمى بمشروع الدولة العلمانية او المدنية المنفلتة. لقد كانت صرخة الصحو لا شرقية ولا غربية دولة إسلامية، فحولوها بالاختراق والحصار والترغيب والترهيب الى دولة علمانية لا دينية، او مدنية يقال انها بمرجعية إسلامية في بعض الاحيان للتغطية على اهدافهم اللئيمة وليجبروهم لاحقا على القبول بالاتفاقيات الدولية من اجل الاعتراف ببقاء الكيان الصهيوني الغاصب في ارض فلسطين.

فمن اجل صيانة صحتنا الايمانية المباركة، ورسالتنا الإسلامية الخالدة، وصون كرامة ومصالح شعوبنا، يجب ان ترفض كل هذه الدعوات المشبوهة، وان نسقط هذه المؤامرات المكشوفة لكي نبقي على الخط ابناء امة واحدة، ورسالة الإسلام الواحدة وحركة إسلامية موحدة او متناغمة وهذا يؤكد اهمية مشروع الوحدة الحقيقية المصيري لتحقيق الاهداف الكبرى للامة، بعيدا عن السيطرة الاستكبارية ومخططات الانحراف والتبعية.

والا غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون.